عبد الحميد كشك

من طغيان المادة إلى لطافة الروح

مكتبة دار الفضيلة
دبي

دار الاعتصام

مكتبة
دار الفضيلة
دبي
دولة الإمارات العربية المتحدة
ص.ب ١٥٧٦٥٠ تليفون : ٦٩٤٩٦٨

عبد الحميد كشك

من طغيان المادة إلى لطافة الروح

الطبعة الثانية
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

مكتبة
دار الفضيلة
دبي
دولة الإمارات العربية المتحدة
ص.ب ١٥٧٦٥٠ تليفون : ٦٩٤٩٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلقنا فكان ذلك الخلق آية من آياته الباهرة ودليلاً قاطعاً على عظمته القاهرة ورزقنا فكان ذلك حجة ساطعة على كرمه وحلمه وعطفه ورحمته ونعمته .

ثم يميتنا بعد ذلك فيكون فى ذلك البرهان اليقينى على أنه قاهر الجبابرة ومدمر الأكاسرة والقياصرة والأباطرة .

سبحانه عنت الوجوه لعظم ملكوته وخشعت الأصوات لجلال جبروته يحيى العظام وهى رميم وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ثم يحيينا بعد الموت فيكون فى ذلك برهان قوى على أنه أحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين وأعدل العادلين فإذا علمت يا أخى أنه لا بد لك من قرين يدفن معك وهو حى وتدفن معه وأنت ميت فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لئيماً خذلك فاجعله صالحاً فإنه عملك . إذا علمت هذا فارتفع بنفسك من كثافة المادة إلى لطافة الروح .

المؤلف

عبد الحميد كشك

الوعـد الحـق

من الكلمات الجامعة التى بلغت أعلى طبقات البلاغة ما جاء فى قوله تعالى :

﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾
يبين لنا مولانا جل فى علاه : أن دنيانا هذه لا قرار فيها ولا استقرار إنما الإنسان فيها راحل منها إلى دار القرار .

﴿ ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه ﴾ فما الإنسان فى جيل إلا ذرة فى فضاء وما الجيل فى الزمان إلى لبنة فى بناء وما الزمان إلا مقدمة محدودة لعالم البقاء .

فالليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر
والعمر مهما طال فلا بد من دخول القبر

جاء فى الحديث الشريف عن المعصوم ﷺ أنه قال :

« والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً وإنها لجنة أبداً أو لنار أبدا » .

والبعث قضية من قضايا العقيدة لا يؤمن أحد إلا إذا آمن بأنه حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها .

ولمّا سبق فى علم الله تعالى أن هناك ناساً سيسألون هذا السؤال **﴿ أإذا كنا تراباً أإنا لفى خلق جديد ﴾** .

أقام الله الأدلة الكونية المنصوبة فى الآفاق وأقطار الكون ليقطع الطريق على هؤلاء المجادلين المعاندين المكابرين الذين يقحمون أنفسهم فى المتاهات التى لا نهاية لها وينسون أنفسهم .

يقول مولانا تبارك اسمه :

﴿ يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ .

هذه الآية الرائعة الحاسمة الجازمة الراسخة أنتجت خمس نتائج اجتمعت فى قوله تعالى :

﴿ ذلك بأن الله هو الحق ﴾ .
﴿ وأنه يحيى الموتى ﴾ .
﴿ وأنه على كل شىء قدير ﴾ .
﴿ وأن الساعة آتية لا ريب فيها ﴾ .
﴿ وأن الله يبعث من فى القبور ﴾ .

واسمع إليه تبارك اسمه وهو يقدم للبعث فى سورة الرعد فيقول عز من قائل : بسم الله الرحمن الرحيم **﴿ المر * تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون * الله الذى رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى**

على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون * وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ .

ثم يعقب سبحانه على تلك الآيات فيقول : **﴿ وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا تراباً أئنا لفى خلق جديد ﴾ .**

ثم يحكم الله تعالى على هؤلاء الحاقدين فيقول :

﴿ أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ .

يقول الله جل وعلا

﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ .

إن من أصول الاعتقادات الإيمانية :

الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى يبعث الخلائق بعد موتها فيجمع أجزاءها بعد تفرقها ويعيد إليها أرواحها بعد مفارقتها ويعيدها كما بدأها .

قال الله تعالى :

﴿ وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ .

وقال تعالى :

﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ .

فهو سبحانه يعيد هذا الخلق بجواهره بل وأعراضه على المعتمد كما بدأه أول مرة وليس فى هذا شيء من المحالات العقلية ولا المناقضات الفكرية .

وذلك أن العاقل إذا أتبع نظراته العابرة فى العالم الإنسانى وتكويناته الخلقية وتطوراته وتقلباته فى تلك الأدوار وتغيراته فى تلك الأطوار وأجال نظره فى عالم النبات وانفلاق تلك النواة الدفينة فى بطن الأرض بقدرة البارى تعالى عن شجرتها وفروعها وأغصانها وثمراتها ثم ... و ... ثم جعل يتنقل فى عجائب الأرض وعظمة السماوات وما فيها من المبدعات فإنه حينئذ تتجلى له حقائق قدرة البارى تعالى ويشاهد آيات إبداعه وخلقه ويعلم يقيناً أن من قدر على بدء الخلق قادر على إعادتهم بلا ريب .

ما من نبى أرسل إلا ودعا قومه إلى الوحدانية والبعث والعمل الصالح .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ أن يقسم فى ثلاثة مواضع وكلها تدور حول قضية البعث .

قال تعالى : **﴿ ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق وما**

أنتم بمعجزين ﴾

وقال تبارك اسمه :

﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين ﴾ .

ثم يبين تعالى الغاية العليا من البعث فيقول :

﴿ ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ﴾ .

وفى الموضع الثالث يقول جل ذكره :

﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير ﴾ .

وقد ألقى القرآن باللائمة على قوم استبعدوا البعث بعد الموت والنشور بعد الفناء وحكم عليهم بالضلال البعيد .

فقال تعالى :

﴿ بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد ﴾ .

وأى ضلال أبعد من أن ينكر الإنسان على ربه القدرة على إحياء الأجساد بعد فنائها .

فاللهم إنا نسألك اليقين والهدى والعفاف والتقى .



وللعلم فى عالم النبات كلمة

لما أراد الله تبارك اسمه أن يثبت لعباده أن البعث واقع وأن الجزاء صادق بين لهم بقياس جلى أن بعث الأجسام بعد تحللها مثله كمثل النبات فجاء القياس واضحاً .

قال تعالى : ﴿ **ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج** ﴾ والمقصود بالخروج هو البعث بخروج الناس من أجداثهم إلى عرصات القيامة وساحات الحساب فهل قياس البعث على النبات أمر فى ظاهر الرأى ميسور ؟ .

وهل عالم النبات كما تراه الأعين رأى العين أن وراء عالم النبات أسراراً لا يدرك حقيقتها إلا الذى يقول فى كتابه :

﴿ **أفرأيتم ما تحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** ﴾ إن فى عالم النبات دقائق حارت فيها عقول المفكرين وحقائق وقفت واجمة حيالها عبقريات البارعين ،ونحب أن نسجل كلمة العلم فى هذا المجال : إن فى عالم النبات معجزات كثيرة تحاول العقول إدراكها وتعليل كيفية حدوثها لأننا فى الواقع ـــ لا نرى المرحلة النهائية للعمليات المختلفة التى تابعها النبات إلى أن وصل لهذه النتيجة .

فمن الظواهر التى استرعت اهتمام الباحثين من علماء الحياة مسألة تكون الخشب فى جسم النبات الأخضر ومن هذا الخشب توقد النار التى هى مصدر الطاقة لا غنى لنا عنها فى حياتنا اليومية وفى القرآن آيات تشير إلى ذلك وتذكر الناس بقدرة الخلاق العظيم لعلهم يهتدون قال تعالى ﴿ **أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون** ﴾ .

وعندما نتدبر معنى هذه الآية نجد أنها تشير إلى أصول البحث فى علوم مختلفة مثل الكيمياء والنبات والأحياء والطبيعة وغيرها .

وأن من إعجاز القرآن تنبيه الناس إلى ضرورة دراسة العلوم لكى يتيسر لهم تفسيره تفسيراً صحيحاً يفيدون منه وتتحقق بذلك رسالة القرآن الإلهية وصلتها بحياة الإنسان وما خلق الله فى السماوات والأرض .

وسنعالج فيما يلى تفسير هذه الآية بقدر ما يتسع له هذا المقام ونتبين كيف تتمشى العلوم الحديثة مع آيات القرآن الكريم .

فالله سبحانه وتعالى خلق خلايا النبات التى تبنى أنسجته وأعضاءه وسواها وقدرها ثم هداها لبناء الخشب الذى توقد منه النار بتوجيه تهيمن عليه حيوية تلك الخلايا ومن ثم الإعجاز المذهل الذى يكمن فى هذه الظاهرة .

وفيما يلى شرح مختصر للخطوات التى سلكها النبات لتكوين الخشب :

دأب الإنسان منذ القدم على أن يتخذ من الشجر وقوداً ثم تدرج إلى صناعة الفحم النباتى منه وادخاره ليوقده عند الحاجة .

وما الفحم الحجرى الذى يستخرج من المناجم الغائرة فى بطن الأرض إلا بقايا أشجار خضراء طمرت فى الأرض وتوالت عليها أحقاب سحيقة من الزمن استغرقت آلاف السنين وطرأ عليها فى غصونها تغييرات مختلفة فتكربنت أى تفحمت وأصبحت ذلك الفحم المعروف .

والفحم يكاد يكون كله من الكربون وهو عنصر يحترق باتحاده مع أكسيجين الهواء ويدخل فى تركيب كل مادة عضوية .

فالفحم أصله الخشب الذى كونه النبات وبناه فى جسمه .

ومن عجب أن هذه الكتل من الخشب وما نتج عنها من الفحم إنما بناها النبات فى غاز ثانى أكسيد الكربون الذى يوجد فى الهواء مختلطاً مع غازات أخرى ولم تعرف هذه الحقيقة إلا فى نهاية القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر .

وقد أوحى الله إلى النبات وقدر له أن يقوم باستخلاص عنصر الكربون من غاز ثانى أكسيد الكربون الجوى ويمثله فى جسمه لبناء الخشب وغيره من المواد العضوية فى درجة الحرارة العضوية دون عناء ملحوظ ولا أعراض ظاهرة فى حين أن فصل الكربون عن ثانى أكسيد الكريون يتطلب من الكيميائى درجة حرارة مرتفعة وأجهزة يستخدمها فى العمل لهذا الغرض .

والله سبحانه وتعالى أمد النبات بالطاقة والوسائل التى يستعين بها على أداء عملية تمثيل الكربون وفصله عن غاز ثانى أكسيد الكربون ومن هذه الوسائل وجود المادة الخضراء المعروفة بالخضير أو الكلوروفيل ولذا فإن الشجر الأخضر ــ والأخضر دون سواه ــ هو الذى يستطيع أن يمثل الكربون وهو أصل الخشب الذى توقد منه النار .

فقد ثبت أن هذه المادة الخضراء لها خاصة امتصاص حزم معينة من ضوء الشمس وهى الحمراء والبرتقالية .

وبهذا المجهود الضوئى تستعين المادة الحية التى فى خلايا النبات على استخلاص الكربون من ثانى أكسيد الكربون .

ومتى تم فصل الكربون تقوم الخلية المنوط بها عملية تمثيل الكربون باتحاد الكربون مع عنصرى الماء وهما الأيدروجين والأكسجين .

ويسفر هذا الاتحاد عن تكوين مادة بدائية سائلة من فصيلة السكر .

على أنه لم يتضح للآن كيفية حدوث هذا الاتحاد ولتفسير ذلك نظريات مختلفة فى علم الذرة الحديث لا يتسع له هذا المقام .

ومتى تم تكوين هذا المحلول السكرى ينتقل من خلية لأخرى حتى يصل إلى الأوعية الخاصة التى يتكون منها الخشب فيخزن فيها ثم يتركز تدريجياً ويضاف إليه مواد أخرى تكسبه الصلابة مثل اللجنين والسوبرين فتستقر فى موضع التخزين وتصبح مادة صلبة هى الخشب

المعروف .

ومن عجب أن هذه الخلايا النباتية التى اشتركت فى تكوين الخشب لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة فلا يزيد قطر الواحدة منها عن ١/١٠٠٠ من الملليمتر ككثير مثلها من الخلايا التى سبق ذكرها فى مناسبات مختلفة .

ومع ذلك فقد أودع الله الحياة فى تلك الخلايا وسخر لها الإمكانيات فقامت بعلمها المعجز .

وبعد فهل إذا أتيح للإنسان الحصول على ثانى أكسيد الكربون والضوء ومادة الكلوروفيل أن ينهض بتكوين الخشب كما كونه النبات .

كلا . لأن هذه الإمكانيات ينقصها العامل الهام الفعال وهو الحيوية التى أودعها الخالق سبحانه وتعالى فى مادة الخلية وهداها لأداء هذه المهمة بعد أن خلقها وقدرها فهو الذى قدر فهدى وهو الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى .



منهج القرآن فى إثبات البعث

ولقد جاء القرآن العظيم بطرق واضحة تثبت المعاد الجسمانى والروحانى ألا وهى طريقة البرهان وطريقة العيان وليس بعد البرهان والعيان من دليل وتبيان . وتلك الحجج القرآنية هى المحجة البيضاء التى لا تعشو فيها الأبصار ولا تخبط فيها العقول والأفكار .

ونحن نأتى بجانب منها إن شاء الله تعالى فنقول .

الطريقة الأولى : النظر فى الآيات الآفاقية والنفسية قال الله تعالى :

﴿ ق * والقرآن المجيد * بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شىء عجيب * أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد ... قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ * بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج * أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب * ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد *

رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج * كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود * وعاد وفرعون وإخوان لوط * وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد * أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد ﴾ .

إذا أمعن القارئ فى هذه الآيات الكريمة وتدبر ما فيها يتضح له وجه المناسبات الحكيمة وأنها كلها براهين قطعية وأدلة عيانية شاهدة على أن الإعادة حق وأن الله على كل شيء قدير وأنه لا يعجزه شيء وذلك أن للإعادة أشباهاً ونظائر ويتقلبون فيها ويشاهدونها بأعينهم فعلام يعجب الجاحدون وينكر المنكرون .

﴿ فقال الكافرون هذا شيء عجيب * أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد ﴾ .

استبعدوا الرجعة بعد الموت وتفرق الأجزاء وبلاها فجاءهم الجواب .

﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ﴾

وذلك أن ما تأكله الأرض من أجزائهم هو معلوم عند الله تعالى لا يغيب مهما تباعد وتفرق فهو سبحانه يعلم كل جزء عنه ممن انفصل وبمن كان اتصل وأن تلك الأجزاء كلها محفوظة فى كتاب جمعها كلها فهى وإن غابت عن أبصار أهل الدنيا لكنها محفوظة فى ذلك الكتاب الذى عنده سبحانه بذواتها وذراتها .

فإن استبعدوا ذلك بالنسبة للقدرة فهذه السماوات والأرض أكبر خلقاً منهم وأشد فإن كانوا يرون الإعادة ليست أكبر من البدء

فالذى قدر على البدء يقدر على الإعادة وإن كانوا يرون أن الإعادة أكبر من البدء وأعظم فلقد خلق الله سبحانه ما هو أكبر منهم وأشد خلقاً منهم وهى السماوات والأرض المشهودة لديهم بأعينهم .

وإلى هذا يرشد سبحانه : ﴿ **أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج * والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى** ﴾ أى وهى الجبال التى نصبها سبحانه وأودع فيها ما أودع من خزائن ومعادن وخصائض .

وأنبتنا فيه من كل زوج بهيج تبصرة للمستبصرين وذكرى للمتذكرين وما يتبصر ويتذكر إلا كل عبد منيب .

ولذا قال سبحانه : ﴿ **وذكرى لكل عبد منيب** ﴾ .

ثم يبين الله تعالى فى سياق الحجة على منكرى الإعادة بعد الموت فقال سبحانه :

﴿ **ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج** ﴾ .

وهذا الدليل يثبت قدرة الله تعالى ويثبت عظمة القدرة الإلهية وسعتها .

وهذا الدليل يقرب أمر الإعادة ويبين لها نظائر وأشباهاً مشهورة أمامهم .

وذلك أنه سبحانه أنبت فى هذه الأرض من حبة أو نواة دفينة

فى بطنها أصنافاً من زروع وأشجار وثمار على مختلف ألوانها وطعمها وتنوع منافعها وذلك دليل باهر يبصر به أرباب البصائر ويستدل به أولو العقول على إثبات البعث وكيفية الإعادة لهذا الجسم الذى تحتفظ الأرض بأجزائه مهما تفرقت وتبددت وتباعدت .

ومن تلك الأجزاء الدفينة ينشىء الله تعالى النشأة الآخرة .

ولذا قال سبحانه :

﴿ **كذلك الخروج** ﴾ أى مثل هذا الإخراج المشهود المعاين أمامكم من الأرض الفواكه والثمار والأقوات والحبوب فيخرجكم من الأرض بعدما غيبتم فيها ودفنتم فى أنحائها وبطونها .

ثم إنه سبحانه وتعالى يبين فى قوله تعالى :

﴿ **كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط** ﴾ إن إنكار المعاد وتكذيب الرسل هو عادة كل جبار عنيد يكذب بالحق بعدما تبين وينكر الواقع بعدما اتضح فلا فائدة فى الجدل معه فإنه لا يستخرج منه العناد إلا بسطوة رب العباد وأخذه بالعذاب والعقاب : ﴿ **كل كذب الرسل فحق وعيد** ﴾ .

ثم بين الله سبحانه وتعالى دليلاً نفسياً على إثبات الإعادة لهذا الخلق بأنه سبحانه ل ما بدأ هذا الخلق لم يعيَ ولم يمسسه لغوب ولا تعب فيعجز عن إعادته ثانياً .

فإن كانوا قد عموا وصموا عن الأدلة السابقة كلها السماوية

والأرضية فليفكروا فى أنفسهم وليتعقلوا فى نشأتهم الحاضرة التىٰ هم فيها فإنهم الآن يتقلبون فى خلق جديد يتجدد عليهم غير أنهم قد التبس الأمر عليهم فظنوا أنهم هم فى كل حال وأنهم لا يعتريهم تبديل ولا تحويل ولا تخليق جديد ولكن الأمر ليس كذلك بل إنهم فى كل لحظة بل فى أقل من أجزاء اللحظة تفنى منهم أجزاء خلقية وجواهر فردية ويخلق الله تعالى غيرها ويجدد عليهم وجودها وهكذا .

وهذا الأمر لا يخالف فيه إلا جاهل مكابر .

فاللهم إنا نسألك إيماناً صادقاً وعملاً متقبلاً وأن تجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير فاتنين ولا مفتونين وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين .



العلم ينطق بعظمة الخالق

﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت . إن الذى أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شىء قدير ﴾ .

تأمل فى نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات بأبصار هى الذهب السبيك
على قُضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

ما أعظم أن يقيس القرآن الكريم إحياء الناس يوم البعث على إحياء الأرض بعد مواتها بإنزال الماء عليها وإنبات النبات فيها **﴿ وهو الذى يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾ .**

وما أروع هذا التعبير القرآنى الرفيع .

﴿ إن الذى أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شىء قدير ﴾

وللعلم فى عالم النبات كلمة وحقيقة لا تختلف ولا تتخلف **﴿ ما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا ﴾ .**

﴿ ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم ﴾ .

إن العلم يطرح هذا السؤال المعجز .

هل إذا أتيح للإنسان الحصول على ثانى أكسيد الكربون والضوء ومادة الكلوروفيل أن ينهض بتكوين الخشب كما كونه النبات ؟

كلا لأن هذه الإمكانيات ينقصها العامل الهام الفعال وهو الحيوية التى أودعها الخالق سبحانه وتعالى فى مادة الخلية لأداء هذه المهمة بعد أن خلقها وقدرها .

﴿ سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى ﴾ ﴿ قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ﴾ .

فواعجباً كيف يعصى الإله   أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شىء له آيـة   تدل على أنه الواحد

وأنى للإنسان أن يدرك سر حياة هذه الخلية . وقد جعل الله لعقله أفقاً محدوداً ولم يؤته من العلم إلا قليلاً فإذا طعن فى السن وبلغ من العمر أرذله ، نكسه الله فى الخلق لكى لا يعلم من بعد علم شيئاً تحقيقاً لقوله تعالى :

﴿ ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾ .

هذا الإنسان الذى يجأر بقهره الذرة وتحطيمها ويضع منها قنابل ذرية وصواريخ يرسلها على بنى جنسه وبالاً ودماراً يهلك حرثهم ويفنى نسلهم قد نسى خلقه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وراح

يضرب لخالقه مثالاً فقال : ﴿ **من يحيى العظام وهى رميم** ﴾ .

فأنزل الله فى القرآن على نبيه ﷺ : ﴿ **قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾ .

ليبين لهذا الإنسان أن الذى خلق العظام من العدم لا يعجزه أن يعيد خلقها مرة أخرى .

وشاء الله كذلك أن يعلم الإنسان ما لم يعلم ويعظه ويظهر له قلة حيلته إلى جانب قدرته تعالى التى لا تحد فقال : إن الذى أنشأ العظام أول مرة ثم يحييها ، هو الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون .

ومن إعجاز القرآن فى هذه الآية الكريمة أن الخشب لا يتكون إلا من الشجر الأخضر بالتخصيص لاحتوائه على مادة الكلوروفيل كما هو ثابت فى بحوث علم النبات .

وهكذا رأينا من قصة تكوين الخشب التى سقناها أن النبات الأخضر الصامت الذى يبدو جامداً فى موضعه قد استطاع أن يصنعه من الهواء والماء والضوء وفشل الإنسان فى هذا المضمار الضيق وتفوقت عليه تلك الخلية ونجحت فى تكوين الخشب وهى من أصغر مخلوقات الله حجماً كذلك يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون ويعرفون قدر أنفسهم فيقول : ﴿ **ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب** ﴾ .

فانظر كيف ضعف الإنسان وآلهته التى كان يشرك بها عن خلق ذبابة حقيرة بل وعن استرداد ما تسلبه منه .

ألا فكم تكون ضآلة قدرة الإنسان الذى قهرته الخلية الضئيلة والذبابة إزاء خلق السماوات والأرض وهى أكبر من خلق الناس كما قال الله تعالى :

﴿ لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلاً ما تتذكرون . إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ .

لقد حثنا القرآن الكريم على النظر إلى الكائنات المختلفة التى حولنا فى أنحاء الكون ونبهنا إلى التمعن والتفكير فى كيف خلقها الله تعالى بهذا الكمال البديع الذى يسبح بقدرة خالقها العظيم، فاستمع لقوله تعالى :

﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ .

فعليك أيها المؤمن أن تكون كالإبل صبراً وجلداً وكالسماء عزة ورفعة وكالجبال قوة وصموداً وكالأرض تواضعاً لله وخشوعاً .

وتأمل بلاغة القرآن فى هذه الآيات الموجزة المعجزة وهى تنبهنا على التوالى لدراسة علوم الحيوان والفلك والجيولوجيا «علم طبقات الأرض» والجغرافيا ويلاحظ أن الاستفهام الإنكارى الوارد فى بدء الآية الكريمة لا يقصد به طلب معرفة السبب ولكنه تبكيت وتقريع

للذين يلقون نظرة عابرة على مخلوقات الله ثم يغضون أبصارهم ويكتفون بنحو قولهم :

سبحان الخلاق العظيم ، دون أن يعملوا بأمر الله إذ كلفهم بالإنابة والتمعن فى الكيفية التى أنشئت بها هذه المخلوقات .

فما أجل قوله تعالى **﴿ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شىء قدير ﴾** .

فاللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ، ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والساعة حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق ، اللهم لك حاكمت وبك خاصمت وعليك توكلت وإليك أنبت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهى ولا إله إلا أنت .

أطوار الخلق دليل على إمكان البعث

﴿ يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء أهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ .

تباركت ربنا وتعاليت فكلامك هو الحق المطلق والصدق المطلق وأنت صاحب العظمة المطلقة صاحب العزة القائمة والمملكة الدائمة اقتضت عدالتك المطلقة أن تقيم الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ، وحذرت العباد من المعصية لأن هناك يوماً يجعل الولدان شيبا **﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ﴾ .**

وجعلت هذا اليوم يوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين .

وحذرت المنحرفين السادرين فى طغيانهم العابثين بأقدار العباد المعتدين على حقوقهم .

﴿ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ .

وقرنت الإيمان باليوم الآخر بالإيمان بك سبحانك فقلت : **﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ﴾** وألقيت باللائمة على المنافقين الذين زعموا أنهم آمنوا بك وباليوم الآخر ولم يكونوا كذلك فقلت وقولك الحق .

﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ .

كما جاء الإيمان بهذا اليوم مقترناً بالإيمان بك سبحانك فى كلام رسولك الكريم .

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » .

وقد حكمت سبحانك بالكفر على من أنكر هذا اليوم بل اعترى يقينه ظن فى قيام الساعة فها هو ذا صاحب الجنتين يقول :

﴿ وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً

منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ﴾ .

وجل جلال الله تعالى إذ يقول فى الآية التى صدرنا بها المقال .

﴿ يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ﴾ .

ويقول فى هذه الآية :

﴿ أكفرت بالذى خلقك من تراب ﴾ .

فالبدء بعنصر التراب هنا له حكمة بالغة ومغزى ومعنى وهدف عميق ، فإن الذى خلقنا من تراب واستل العناصر الأساسية من هذا التراب كالدهن والكربون والمغنسيوم والفوسفور والجير والكبريت والحديد والماء .

﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ﴾ .

إن الذى بدأ خلقنا من تراب سيعيد خلقنا يوم القيامة من التراب والإعادة أهون من البدء وإن كان البدء والإعادة فى حق الله أمراً هينا **﴿ وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾** . فلماذا أيقنا وآمنا وصدقنا بالخلق من التراب ولم ينكر أحد ذلك ؟ ولماذا جادل المجادلون فى التراب الثانى ولم ينبسوا ببنت شفة فى الخلق من التراب الأول أليس التراب الأول مثل التراب الثانى ؟

إذن فلماذا التفرقة بين الترابين ؟ ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون** ﴾ .

﴿ **ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا ، أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا** ﴾ .

لكأنى بك ياابن آدم وقد وضعت على شفير القبر والقبر يناديك بلسان حاله فيقول يا ابن آدم أتركت الدنيا أم الدنيا تركتك أجمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك أعاجلت المنية أم المنية عاجلتك ؟؟؟ .

لقد خلقت من التراب وعدت إلى التراب لكنك خرجت من التراب بلا ذنب وعدت إليه وكلك ذنوب .

اعلم يا ابن آدم أنه لا بد لك من قرين يدخل معك قبرك وهو حى وتدخل معه وأنت ميت إن كان كريماً أكرمك وإن كان لئيماً خذلك فاجعله صالحاً فإنه عملك .

والقبر أول درجات الآخرة .

الموت كأس وكل الناس شاربه
يا ليت شعرى بعد الموت ما الدار
الدار دار نعيم إن عملت بما
يرضى الإله وإن خالفت فالنار
هما محلان ما للمرء غيرهما
فانظر لنفسك أى الدار تختار

ما للعبادى سوى الفردوس أن عملوا
وإن هفوا هفـوة فالـرب غفـار

إن هذه الآية الجامعة التى سقناها والتى خاطب الله فيها البشرية جمعاء :

﴿ يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ﴾ .

هذه الآية اشتملت على دليلين فى غاية الوضوح والإبانة .

أولهما صلاحية القدرة الإلهية للخلق والإيجاد فى ظلمات الأرحام .

وثانيهما إحياء الأرض الموات بالماء والنبات .

﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ .

إن الذى قدر على الخلق فى ظلمات الأرحام هو ذاته القادر على الخلق فى ظلمات القبور . فاللهم علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وعملاً متقبلاً ويقيناً صادقاً وشفاءً من كل داء .

اليوم الحق

﴿ ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا ﴾ .

أزف الرحيل إلى ديار الآخرة
فاجعل إلهى خير عمرى آخره

فلئن رحمت فأنت أكرم راحم

وبحار جودك يا إلهى ذاخرة

آنس مبيتى فى القبور ووحشتى

وارحم عظـامى حين تمسى ناخرة

يتساءل الناس عن البعث ، ويجيب رب العزة قائلاً :

﴿ أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد ﴾
والاستفهام هنا إنكارى يفيد النفى أى ما عجزنا عن الخلق الأول .

والكل يشهد بهذا ويعترف به ويقره لكنه استفهام تسيل له النفس مرارة وينخلع له القلب أسى .

نعم! إنه استفهام تكات السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا .

هل عجز الإله القادر عن الإبداع فى أى طور من أطوار الخلق .

﴿ هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون، هو الذى يحيى ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾ .

هذه مقدمات ونتائج :

إن الله خلق الإنسان أولاً نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم جنيناً ثم طفلاً ، ثم صبياً ثم مراهقاً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً ثم هرماً .

ومن المقطوع البدهى أنه لم ينتقل من طور إلى طور دفعة واحدة

بل مرت عليه لحظات وساعات فنيت منه أجزاء وتجددت فيه أجزاء أخرى شيئاً فشيئاً تدريجياً حتى انتقل إلى الطور الثانى وهكذا دواليك ولكن لم يتبين له ذلك حتى مضت مدة طويلة فبان له الأمر وظهر فيه التطوير والتبديل والتجديد والتحويل .

قال الله تعالى : ﴿ **ما لكم لا ترجون لله وقارا . وقد خلقكم أطوارا** ﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون . ثم إنكم يوم القيامة تبعثون** ﴾ .

أى فلا فرق بين تلك الأطوار التى يقلبكم فيها بالنسبة لقدرته سبحانه وتعالى ولا يعجزه شيء فى ذلك بل إن جميع ذلك يسير عليه وهو على جميع ذلك وغير ذلك قدير .

وقال الله تعالى :

﴿ **أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال : من يحيى العظام وهى رميم ؟ قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم** ﴾ .

ومن الناس من يجادل فى البعث بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد والله جل فى علاه يوجه هذا الاستفهام التعجبى الذى يستولى على الأفئدة من شدة ما يحمل من معان فيقول سبحانه : ﴿ **عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون** ﴾ .

وبعد هذا الوعيد والتهديد يسوق الأدلة المبثوثة فى الآفاق والكون بكل أرجائه ليقيم على أنه القادر الذى لا يعجزه شىء فى السماوات ولا فى الأرض : ﴿ **ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً وبنينا فوقكم سبعاً شداداً وجعلنا سراجاً وهاجاً وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافاً** ﴾ .

وبعد هذا البيان البديع فى أرقى طبقات البلاغة تأتى النتيجة الحاسمة الجازمة فيقول سبحانه :

﴿ **إن يوم الفصل كان ميقاتا** ﴾ .

إنه يوم لا ريب فيه ولا جدال والذى حكم بمجيئه هو أصدق القائلين وأسرع الحاسبين وأحكم الحاكمين وأعدل العادلين .

إن الآيات الكونية من جعل الأرض مهاداً ومن جعل الجبال أوتاداً إلى آخر الآيات دليل على العناية العليا والنظام المتقن والنسق الرتيب .

فصلة السماء بالأرض صلة تقوم على الإتقان لا مجال للصدفة فى تلك الآيات المبثوثة فى الآفاق ولا محل للطبيعة الصماء وليس أدنى شك فى أن الخالق عليم حكيم قادر وليس هناك أى احتمال للعبث **﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾** .

نعم إنه يوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين .

إنه اليوم الذى فصل الله أحداثه وأهواله فى مشاهد القرآن من ذلك قوله جل شأنه .

﴿ يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا * وفتحت السماء فكانت أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا ﴾ إذن أهناك شك يعترى أى عاقل فى أن القادر العظيم الذى أحاط بكل شيءعلماالذىأحصى كل شيء عدداً يعجز عن الإعادة بعد البدء وهو القائل وقوله الحق .

﴿ يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ وهو القائل عز من قائل : **﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾** .

نسأل الله تعالى أن يرزقنا إيماناً صادقاً ويقيناً ثابتاً وعلماً نافعاً ورزقاً واسعاً وعملاً متقبلاً وشفاء من كل داء .

المجادلون بالباطل

﴿ **وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتى وما أنذروا هزواً ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه** ﴾ .

هناك قوم طمست أبصارهم فأصبح على قلوبهم سحاب داكن من ظلام الغفلة وصار فى آذانهم وقر وبينهم وبين الحق حجاب مستور وقالوا قولتهم التى يملأها الضلال والبهتان .

﴿ **أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفى خلق جديد أفترى على الله كذباً أم به جنة** ﴾ وجاء الرد صريحاً من رب العزة ﴿ **بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد** ﴾ .

عندما ينسى الإنسان نفسه ويستبد برأيه يضيع أدراج الرياح وأشد من ذلك ضلالاً أن ينسى الإنسان ربه ويجحد كماله المطلق ويقول الإنسان : ﴿ **أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أو لا يذكر**

الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾

ويأتى الرد الحاسم الجازم من رب السموات العلى ﴿ **فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا * ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا * ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا * وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضيا* ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا** ﴾ .

فتأمل معى كيف جاء الرد الحاسم إنه كالصواعق تنخلع لها القلوب إنه الإنذار الذى تنفطر له الأفئدة .

إنها كلمات فيها الوعيد والتهديد لكل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب إنه القسم الذى لا يحنث فيه المقسم لأنه الله وحاشى لله أنه يحنث في يمينه .

وجواب القسم تقشعر منه الأبدان وتشيب من حوله نواصى الولدان .

﴿ **فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا** ﴾ أى جاثين على ركبهم .

وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى .

وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم .

إن العلى العظيم يقسم وإذا أقسم الله وجلت القلوب

وخشعت الأصوات للرحمن وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلماً .

نعم إذا أقسم الله فإن قسمه تكاد السمٰوات يتفطرن من فوقهن .

يقسم تعالى لهؤلاء الجاحدين الجبابرة المتكبرين لأنهم هناك أقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت .

فرد عليهم مولانا تبارك اسمه قائلاً ﴿ **بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ .

﴿ **ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** ﴾ .

وجاء جواب القسم فى الآيات التى بين أيدينا ﴿ **لنحشرنهم ولنحضرنهم ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا** ﴾

وهنا تخشع القلوب لجلال الله .

فيا له من يوم ما أطوله .

ويا له من خطب ما أهوله .

ويا له من جبار ما أعدله .

سبحانك ربى يا من قلت وقولك الحق .

﴿ **ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً** ﴾ .

روى ابن أبى حاتم وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن العاص ابن وائل الجاهلى أخذ عظماً من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله ﷺ أيحيى الله هذه بعدما رمَّ فقال رسول الله ﷺ « نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم » .

فنزلت الآيات رداً عليه وعلى أمثاله .

وروى أن القائل ذلك هو أبى بن خلف فجاء الجواب القرآنى على هذه الشبهة الفاسدة بوجوه :

١ ــ إن هذا الضال استبعد الإعادة والحياة فى عظام رفات وترك نفسه من الاعتبار فإن الله تعالى الذى خلق الإنسان ونقله من العدم إلى الوجود ــ هو قادر على الإعادة فما لهذا الضليل نسى خلقه بعد العدم فراح ينكر حياته بعد الموت ؟

٢ ــ ﴿ **قل يحييها الذى أنشأها أول مرة** ﴾ فإن إيجاد البادىء أصعب فى مطرد العادة والعرف من رد شىء كان إلى ما كان عليه من ذى قبل يعنى أن القادر على البداية هو قادر من باب أولى على الإعادة .

٣ ــ ﴿ **وهو بكل شىء عليم** ﴾ فإن جميع أجزاء الإنسان مهما تفرقت وتباعدت فإنها معلومة عند الله تعالى محفوظة عنده ﴿ **لا يضل ربى ولا ينسى** ﴾ ولا يلتبس عليه شىء .

٤ ــ ﴿ **الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون** ﴾ .

وفى هذا دليل على أن هناك قوة تتغلب على المتنافرين المتناقضين وهما :

الأخضر الحى والنار اليابسة ألا وهى : قدرة الله تعالى الذى يستخرج الشيء من ضده بل ومن نقيضه .

٥ ـ إن الذى أبرزالنار التى كانت كامنة فى الشجر والحجر فأظهرها بالقدح وأشعلها بالنفخ لهو قادر على أن يبرز الميت الدفين فى التراب الكامن فى الخبايا الأرضية بسبب أنه سبحانه يأمر إسرافيل عليه السلام بالنفخ فى الصور والنقر فى الناقور .

الطريقة الثانية من الحجج التى أقامها الله تعالى على عباده وأثبت لهم فيها قدرته على إعادة الخلق بعد موتهم هى : طريقة الشهود والعيان وهى أن الله تعالى أجرى فى ذلك أموراً فعلية حيث أمات فيها طوائف من الإنسان ومن الحيوان ومن الطيور ثم أحياهم بعد موتهم على مشهد ومرأى من الناس ليعلموا أن الذى أعاد ذلك بعد الموت لهو قادر على أن يعيد الأموات كلهم بعد موتهم .

وقد أخبر القرآن عن تلك الوقائع وبين أنها أمور معلومة ومشهودة لدى الأمم الماضية .

نسأل الله تعالى أن يحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

نماذج من البعث بعد الموت

لما أخبر سبحانه وتعالى بأن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأقسم على ذلك فقال : ﴿ **والذاريات ذروا * فالحاملات وقرا * فالجاريات يسرا * فالمقسمات أمرا * إنما توعدون لصادق * وإن الدين لواقع** ﴾ .

لما أخبر سبحانه بذلك وعلم أن هناك نفوساً لا تطمئن للحق لأنها جبلت على العناد والاستكبار ﴿ **ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون. لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون** ﴾ ﴿ **وإن يروا آية يعرضون ويقولوا سحر مستمر . وكذبوا واتبعوا أهواءهم** ﴾ .

علم الله أن هناك نفوساً تجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير فبين الله للبشرية نماذج ماتت فى الدنيا وأحياها الله فى الدنيا ليكون فى ذلك آيات لأولى النهى .

ومن هؤلاء جماعة من بنى إسرائيل أخبر الله تعالى عنهم بقوله :

﴿ **ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت**

فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير :

ذكر غير واحد من السلف أن هؤلاء القوم أهل بلدة من زمان بنى إسرائيل استوخموا أرضهم وأصابهم بها وباء شديد فخرجوا فراراً من الموت هاربين إلى البَّرية فنزلوا وادياً أفيح واسعاً فملؤوها ما بين عدوتيه فأرسل الله إليهم ملكين أحدهما من أسفل الوادى والآخر من أعلاه فصاحا بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم ثم إنهم تفرقت أجزاؤهم وتمزقت فلما كان بعد دهرٍ مر بهم نبى من أنبياء بنى إسرائيل يقال له حزقيل فسأل الله تعالى أن يحييهم على يديه فأجابه إلى ذلك وكان فى إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسمانى يوم القيامة ، ولهذا قال تعالى ﴿ **إن الله لذو فضل على الناس** ﴾ أى فيما يريهم من الآيات الباهرة والحجج القاطعة والدلالات الدامغة التى تثبت أن الله تعالى قادر على إعادة الأموات بلا ريب .

ومن هذا النماذج السبعون الذين اختارهم موسى عليه الصلاة والسلام للميقات الذى وعده الله تعالى أن يكلمه فيه ويُنزل عليه التوراة أماتهم الله تعالى ثم أحياهم .

قال تعالى : ﴿ **وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك** ﴾ .
أى بأن الله تعالى أعطاك التوراة أو أن الله تعالى قد كلمك .

﴿ **حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة** ﴾ أى نار من السماء أحرقتهم أو صيحة سماوية خروا لها صعقين ميتين يوماً وليلة .

وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وكان بعثهم بعد موتهم بسبب دعاء موسى عليه الصلاة والسلام ومناشدته ربه .

ولا يتنافى موت هؤلاء الذين تقدم ذكرهم فى الدنيا مرتين مع قوله تعالى :

﴿ **ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا** ﴾ لأن موتهم إذ ذاك لم يكن عن استيفاء آجالهم وإنما هو موت عقوبة فكأنه ليس بموت أى أنه عارض أعقبه حياة فى الدنيا نفسها لا فى عالم آخر فلا يختلف مع الآية الثانية .

ومن ذلك أيضاً قصة العزير عليه السلام أماته الله تعالى مائة عام ثم بعثه . قال الله تعالى :

﴿ **أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال : كم لبثت ؟ قال لبثت يوماً أو بعض يوم . قال : بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال : أعلم أن الله على كل شىء قدير** ﴾ .

قال جمهور السلف رضى الله عنهم إن هذا الذى مر على قرية هو العزير أحد أنبياء بنى إسرائيل مر على بلد ببيت المقدس بعدما دخلها بختنصر وخربها فرآها العزير وهى خاوية على عروشها أى ساقطة على سقوفها باعتبار أن سقوف البيوت تسقط أولاً ثم تنهدم

الجدران وتتساقط عليها أى على السقوف، قال : أنى يحيى هذه الله بعد موتها .

قال ذلك استعظاماً للأمر وتفخيماً وتعجباً من عظمة قدرة الله تعالى القدير على كل شيء لا من باب الاستبعاد والإنكار .

وذلك نظير قول زكريا عليه السلام فيما أخبر الله تعالى عنه لما بشر بالغلام : ﴿ **قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيا** ﴾ .

يعنى أن ذلك الأمر عظيم جدير بأن يتعجب من عظمته وفخامته ﴿ **فأماته الله مائة عام ثم بعثه** ﴾ أحياه بعد موته .

قال : كم لبثت ؟ .

وهذا السؤال ورد لإظهار عجز العزير وغيره عن الإحاطة بشئون الله تعالى وعظيم قدرته .

﴿ **قال لبثت يوماً أو بعض يوم** ﴾ .

وإنما قال ذلك لأنه مات ضحى النهار وبعث بعد المائة قبل الغروب فقال قبل أن ينظر إلى الشمس يوماً ثم التفت فرأى أن الشمس لم تغرب بل آثار أنوارها على الأماكن العالية فقال : ﴿ **أو بعض يوم** ﴾ على طريق الإضراب . ﴿ **قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه** ﴾ أى لم يتغير فى هذه المدد الطويلة والسنين العديدة وكان طعامه على ما روى عنباً وتيناً وشرابه عصيراً أو لبناً ﴿ **وانظر إلى حمارك** ﴾ .

كيف نخرت عظامه وتفرقت أوصاله وهكذا أمره الله تعالى أن ينظر أولاً إلى طعامه وشرابه حيث إنها لم تتغير حتى يبين له أن الذى حفظ طعامه وشرابه من التغير والفساد على طوال السنين المائة هو الذى حفظ العزير من التغير ومن أن تأكله الأرض وتفسده على السنين العديدة بل أبقى له جسمه بعد موته وحفظه من البلى لأن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد أنبيائه وأمره الله أن ينظر إلى حماره وقد بلى وتفرق وتمزق ليزداد يقيناً بأنه مر عليه مائة عام ثم قال تعالى له ﴿ **ولنجعلك آية للناس** ﴾ أى عبرة ودليلاً على قدرة الله تعالى على إحياء الأموات وبعثها وأنه سبحانه قادر أن يحفظ أجساد من أراد حفظهم ثم قال له وانظر إلى العظام أى عظام الحمار البالى المتفرقة أوصاله وعظامه كيف ننشزها ، أى كيف نرفعها من الأرض ونركبها فوق بعضها ونعيدها ﴿ **ثم نكسوها لحما** ﴾ أى نستر العظام باللحم ﴿ **فلما تبين له** ﴾ اتضح له اتضاحاً تاماً وعاين كيفية الإحياء قال أعلم أن الله على كل شيء قدير وذلك علم رؤية وعيان فوق ما أنا عليه من اليقين والإيمان .

صور من إحياء الموتى

فى سورة البقرة صور من إحياء الله الموتى ليكون فيها الدليل القاطع والبرهان الساطع والحجة الدامغة على أن البعث أمر بالنسبة لقدرة الله يسير ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحـدة إن الله سميع بصير** ﴾ .

قال جل شأنه ﴿ **ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شىء قدير** ﴾ وقال جل شأنه : ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر** ﴾ وقال تبارك اسمه : ﴿ **وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل** ﴾ .

وقال عز من قائل : ﴿ **ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور** ﴾ .

وقال عز من قائل : ﴿ **إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** ﴾ .

ومن صور إحياء الموتى فى سورة البقرة ما جاء فى قوله تعالى ، فى شأن قوم موسى وهم السبعون الذين اختارهم .

﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ .

ومن تلك الصور ما جاء فى قوله جل شأنه : ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ﴾ .

ومن ذلك ما جاء فى قوله تعالى فى شأن العزير ﴿ أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه ﴾ .

ومن تلك الصور أيضاً ما جاء فى سورة البقرة من قصة البقرة بشأن قتيل بنى إسرائيل والذى نحن الآن بصدد الحديث عنه فلنذكر النص القرآنى الكريم أولاً ثم نتبعه بتفسير مفرداته ثم بذكر المعنى ﴿ وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون . قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا

يفعلون . وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ .

ومعنى « هزواً » مهزوءاً بنا « الجاهلين » المستهزئين فى موضع الجد « لا فارض » الفارض المسنة « ولا بكر » البكر الفتية الصغيرة « عوان » نصف بين الصغيرة والكبيرة « فاقع لونها » يقال : أصفر فاقع أىّ شديد الصفرة « لا ذلول » ليست مذللة بالعمل .

« تثير الأرض » تنشر الغبار وتهيجه والمراد تحرث الأرض « مسلمة » سليمة من العيوب .

« لا شية فيها » لا لون غير لونها .

« فادارأتم » تدارأتم بمعنى تخاصمتم وتدافعتم .

كان فى بنى إسرائيل شيخ موسر وله ابن فقتله أبناء عمه ليرثوا أباه ثم جاءوا يطالبون بديته ودمه وتخاصموا فى ذلك فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوا القتيل ببعض أجزائها فيحيا ثم يخبر عن القاتل وقد ذبحت البقرة وضربوا القتيل فأحياه الله وأخبر عن القتلة وكانوا أبناء عمه . أفرأيتم ما تفعل اليهود قديماً وحديثاً ؟! .

ومعنى الآيات أن الله تعالى يقول لبنى إسرائيل واذكروا وقت قول موسي لقومه الذين هم أسلافكم إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة أى بقرة كانت فلم يسرعوا إلى الامتثال ولكن شددوا فشدد الله عليهم وقالوا أتهزأ بنا يا موسى ؟ قال معاذ الله أن أكون من الذين يهزءون فى موضع الجد فلما رأوه جاداً قالوا ادع لنا ربك يبين لنا

ما سنها ؟ .

فقال لهم : إنها بقرة ليست صغيرة ولا كبيرة بل وسط بين هذا وذاك فافعلوا ما تؤمرون به ولا تشددوا فيشدد الله عليكم ولكنهم اليهود قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ؟ .

قال لهم : إنها صفراء شديدة الصفرة تجلب السرور لمن يشاهدها فلم يكتفوا بذلك بل طالبوا بأوصاف تميزها أكثر ولكنهم أحسوا بأنهم تشددوا وجاوزوا الحد المعقول فقالوا معتذرين : إن البقر كثير متشابه علينا وهذه الأوصاف السابقة تنطبق على كثير وإنا إن شاء الله لمهتدون إلى المطلوب .

فأجابهم الله إن البقرة المطلوبة لم يسبق لها عمل فى حرث الأرض ولا سقيها سليمة من العيوب ليس فيها لون مخالف قالوا الآن جئت بالبيان الواضح فطلبوها فلم يجدوها إلا عند يتيم صغير بار بأمه فساوموه فاشتط حتى اشتروها بثمن غال وما كان امتثالهم قريب بالحصول .

واذكروا إذ قتلتم والخطاب لليهود المعاصرين لأنهم أبناء السابقين ومعتزون بنسبهم وراضون عن فعلهم واذكروا وقت قتل آبائكم نفساً حرم الله قتلها ثم تخاصموا وتجادلوا وأنكر الله فعلهم .. كما ينكرون اليوم ما عندهم من أوصاف النبى ﷺ والله مظهر ما تكتمونه فقلنا اضربوه ببعضها فضربوه فأحياه الله وأخبر عن القتلة .

كذلك يحيى الله الموتى يوم القيامة فيأخذ كل جزاء عمله وكذلك يريكم الله آياته الواضحة الدالة على صدق القرآن والنبى

حيث يخبر بالمغيبات كى تعقلوا فتؤمنوا بالنبى وتصدقوا بالقرآن .

يريد الله أن يسجل عليهم ويبين

الأول : وقوفهم موقف المستهزىء المعاند المجادل المتشدد المنكر الحق الصريح وجزاؤه على كل هذا لعلهم يتعظون .

الثانى : قتل النفس البريئة والإنكار وإنما أخره لأن الأول ديدنهم وطبيعتهم التى لا يتخلفون عنها .

وفى القصة عبرة للمتشددين وتسلية للنبى ﷺ وتسجيل على اليهود بعض قبائحهم .

فقد سألوا نبيهم أسئلة ما كان ينبغى أن توجه إليه وكيف يجرؤون على أن يقولوا له « اتتخذنا هزواً » وهم يعلمون أنه نبى معصوم بل هو أحد أولى العزم من الرسل الذين ورد ذكرهم فى قوله تعالى : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً** ﴾ .

ثم انظر كيف قالوا لنبى الله ادع لنا ربك كأن الله رب موسى وحده وليس رب العالمين كما قالوا له فى موضع آخر ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون** ﴾ ثم انظر كيف يسر الله لهم الأمر عندما أمرهم بذبح بقرة أياً كانت لكنهم شددوا فكان الجزاء من جنس العمل فشدد الله عليهم .

فما أجمل قول رسول الله ﷺ يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» وبقيت هنا قصة من إحياء الموتى وهى إحياء الله الطير لإبراهيم نكتبها فيما سيأتى من الحديث عنها إن شاء الله تعالى .

إحياء الله الطير لإبراهيم

فى سلسلة أحاديثنا عن قضية البعث نذكر هذا النموذج من إحياء الله الموتى فقد جعل الله ذلك تذكرة لتعيه أذن واعية . وهذا النموذج هو إحياء الله الطير لإبراهيم الخليل والذى ورد ذكره فى قوله جل ذكره .

﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ .

قال علماء السلف فى سبب سؤال الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـــ ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى .

فجاء عن الحسن البصرى والضحاك وقتادة وغيرهم أن الخليل عليه الصلاة والسلام سأل ربه ذلك لينتقل من مرتبة علم اليقين إلى عين اليقين .

وقد جاء فى الحديث أن رسول الله ﷺ قال : ليس الخبر كالمعاينة إن الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه فى العجل فلم يلق الألواح فلما عاين بما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت .

وروى عن ابن عباس والسدى وسعيد بن جبير أن الملك بشر الخليل عليه السلام بأن الله تعالى قد اتخذه خليلاً وأنه يجيب دعوته وأنه يحيى الموتى بدعائه فلذلك سأل الله ما سأل .

وروى عن محمد بن إسحاق أن سبب سؤال الخليل ذلك هو منازعة النمرود إياه فى إحياء الموتى حين قال له الخليل .

﴿ **ربى الذى يحيى ويميت** ﴾ .

ورد على النمرود زعمه أن العفو عن المجرم هو إحياء له وأن تنفيذ القتل فيه إماتة له وراح النمرود يتوعد الخليل بالقتل إن لم يحيى الله الموتى على يد الخليل بحيث يشاهد النمرود ذلك فدعا سيدنا الخليل ربه حينئذ فقال : ﴿ **رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن** ﴾ أى ألم تعلم وتؤمن بأنى قادر على الإحياء كيف أشاء حتى تسألنى عنه ؟ .

أو لم تؤمن بأنى قد اتخذتك خليلاً .

أولم تؤمن بأن الجبار النمروذ لا يستطيع أن يقتلك .

قال : بلى .

أى أنا مؤمن بذلك ﴿ **ولكن ليطمئن قلبى** ﴾ بانضمام رؤية العيان إلى الإيمان والإيقان بأنك القادر على ذلك .

وليطمئن قلبى بالخلة التى تفضلت بها على وأكرمتنى بها وبلوازمها من إجابة الدعاء وما وراء ذلك أو ليطمئن قلبى بأن الجبار لا يقتلنى بعدما يشاهد كيفية إحيائك للموتى على يدى .

وعلى كل فسؤال الخليل لم يكن عن شك أصلاً بدليل قوله تعالى ﴿ **أولم تؤمن ؟ قال : بلى** ﴾ أى أنا مؤمن ﴿ **ولكن ليطمئن قلبى** ﴾ .

وقد قطع النبى ﷺ دابر الوهم الذى يتلاعب فى بعض الخواطر فقال كما فى الصحيحين عن أبى هريرة : « نحن أحق بالشك من إبراهيم عليه السلام إذا قال : ﴿ **رب أرنى كيف تحيي الموتى** ﴾ .

ويعنى بذلك ﷺ أنا لم نشك أصلاً فلم يشك إبراهيم عليه السلام أصلاً فكأنه ﷺ يقول إن شك إبراهيم فنحن أحق بالشك ولكننا نحن لم نسك فإبراهيم لم يشك .

صلوات الله تعالى على حبيبه وخليله وآلهما أجمعين .

قال سبحانه وتعالى :

﴿ **فخذ أربعة من الطير** ﴾ أى مختلفة الأنواع وإنما خص الطير بذلك لسهولة ما يفعل بها من التجزئة والتوزيع والتفرقة على الجبال ففى جمعها وإعادتها وإحيائها مزيد من ظهور لقدرته سبحانه وتعالى .

﴿ **فصرهن** ﴾ أى قطعهن أجزاء واضممهن ﴿ **إليك** ﴾ واجمعهن ﴿ **ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً** ﴾ وبهذا أمر الله تعالى الخليل عليه السلام أن يذبح تلك الطيور ويقطعها إرباً إرباً ويجزئها ما استطاع ويخلطها إلى بعضها ثم يجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً ، أى ساعيات مسرعات فى العدد والعودة إليك .

والحكمة فى سعى الطيور إليه مشياً دون الطيران إليه هى أنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الميتة التى ذبحها ومزقها .

لذلك قال الله تعالى : ﴿ **يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم** ﴾ .

أى غالب لا يعجزه شيء حكيم يضع الأشياء فى مواضعها .

وفى هذا دليل على أن هذا الأمر كان على مشهد من الناس وعلى مرأى من النمرود ليكون حجة للخليل عليه السلام قائمة على النمرود وأتباعه .

ولذلك جاءت هذه القصة بعدما ذكر الله تعالى المحاجة التى جرت بين الخليل والنمرود .

قال سبحانه :

﴿ **ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال : أنا أحيى وأميت** ﴾ .

فهذه وقائع ثابتة أجراها الله تعالى وأوقعها ليقيم الحجة على العباد

وليبين لهم أنه قادر على إحياء الموتى سبحانه وإعادتهم إلى حياة جديدة فى عالم آخر يوم القيامة أى يوم يقوم الناس لرب العالمين .

نسأل الله تعالى إيماناً صادقاً ويقيناً فى القلب . وذكراً وشكراً وصبراً وحسن الخاتمة .

إنه نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة جدير وصلى الله على البشير النذير سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين .



القرآن الكريم وقضية النشور

قال تعالى : ﴿ من أى شىء خلقه * من نطفة خلقه فقدره * ثم السبيل يسره * ثم أماته فأقبره * ثم إذا شاء أنشره ﴾ .

لما كانت قضية البعث من أكثر القضايا جدلاً عند ذوى القلوب المريضة فإن القرآن الكريم بسط القول فيها بسطاً لا يكاد يدع لمرتاب شبهة إلا أن يكون فى أذنيه وقر وقلبه فى أكنة ومن بينه وبين الحق حجاب .

نرى القرآن الكريم فى بعض مواضعه يقدم الأدلة على القضية وأحياناً يقدم القضية ثم يقيم الأدلة عليها .

ففى سورة الحج يقدم القرآن العظيم الأدلة ثم يذكر النتيجة .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة

فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ .

ثم يستنتج القرآن من هذه الأدلة خمس نتائج .

ذلك بأن الله هو الحق .

وأنه يحيى الموتى .

وأنه على كل شيء قدير .

وأن الساعة آتية لا ريب فيها .

وأن الله يبعث من فى القبور .

وهذه أضواء فى تفسير تلك الآيات البينات يذكرها المفسرون فيقولون :

لما ذكر تعالى المخالف للبعث المنكر للمعاد ذكر تعالى الدليل على قدرته تعالى على المعاد بما يشاهد من بدئه للخلق فقال .

﴿ **يا أيها الناس إن كنتم فى ريب** ﴾ أى فى شك ﴿ **من البعث** ﴾ وهو المعاد ، وقيام الأوراح والأجساد يوم القيامة ﴿ **فإنا خلقناكم من تراب** ﴾ أى أصل بدئه لكم من تراب وهو الذى خلق منه آدم عليه السلام ﴿ **ثم من نطفة** ﴾ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ﴿ **ثم من علقة ثم من مضغة** ﴾

وذلك أنه إذا استقرت النطفة فى رحم المرأة مكثت أربعين يوماً كذلك يضاف إليه ما يجتمع إليها ثم تنقلب علقة حمراء بإذن الله فتمكث كذلك أربعين يوماً ثم تستحيل فتصير مضغة « قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط» ثم يشرع فى التشكيل والتخطيط فيصور فيها رأس ويدان وصدر وبطن وفخذان ورجلان وسائر الأعضاء فتارة

تسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط وتارة تلقيها وقد صارت ذات شكل وتخطيط ولهذا قال تعالى ﴿ **ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة** ﴾ أى كما تشاهدونها .

﴿ **لنبين لكم ونقر فى الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى** ﴾ أى وتارة تستقر فى الرحم لا تلقيها المرأة ولا تسقطها كما قال مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ **مخلقة وغير مخلقة** ﴾ هو السقط مخلوق وغير مخلوق .

فإذا مضى عليها أربعون يوماً وهى مضغة أرسل الله تعالى ملكاً إليها فنفخ فيها الروح وسواها كما يشاء الله عز وجل من حسن وقبح وذكر وأنثى وكتب رزقها وأجلها وشقى أو سعيد كما ثبت فى الصحيحين من حديث الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق .

« إن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين ليلة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات : فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح » .

وقوله ﴿ **ثم نخرجكم طفلاً** ﴾ أى ضعيفاً فى بدنه وسمعه وبصره وحواسه وبطشه وعقله ثم يعطيه الله القوة شيئاً فشيئاً ويلطف به ويحنن عليه والديه فى آناء الليل وأطراف النهار . ولهذا قال ﴿ **ثم لتبلغوا أشدكم** ﴾ أى يتكامل القوى ويتزايد ، ويصل إلى عنفوان الشباب وحسن المنظر ﴿ **ومنكم من يتوفى** ﴾ أى فى حال شبابه وقواه ﴿ **ومنكم من يرد إلى أرذل العمر** ﴾ وهو الشيخوخة والهرم والضعف :

ضعف القوة والعقل والفهم وتناقص الأحوال من ضعف الفكر .

ولهذا قال :

﴿ **لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً** ﴾ .

كما قال تعالى : ﴿ **الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **وترى الأرض هامدة** ﴾ هذا دليل آخر على قدرته تعالى على إحياء الموتى كما يحيى الأرض الميتة الهامدة وهى المقحلة التى لا ينبت فيها شىء .

وقال قتادة غير مهشمة وقال السدى ميتة ﴿ **فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج** ﴾ أى فإذا أنزل الله عليها المطر اهتزت أى تحركت بالنبات وحييت بعد موتها « وربت » أى ارتفعت لما سكن فيها الثرى ثم أنبتت ما فيها من الألوان والفنون من الثمار والزروع وأشتات النبات فى اختلاف ألوانها وطعومها وروائحها وأشكالها ومنافعها ولهذا قال تعالى ﴿ **وأنبتت من كل زوج بهيج** ﴾ أى حسن المنظر طيب الريح .

اللهم أحينا على كلمة التوحيد وأمتنا عليها وابعثنا عليها واهدنا واغفر لنا وارحمنا وعافنا وارزقنا يا ذا العرش المجيد .

منها ، وفيها ، ومنها

تباركت ربنا وتعاليت فقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والساعة حق والبعث حق والجنة حق والنار حق ومحمد حق والنبيون حق .

صدقت ربنا فقد أخبرتنا بأن البعث حق وقلت فى ذلك لآدم وبنيه ﴿ **فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون** ﴾ وقلت وقولك الحق ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** ﴾ .

ما زال القرآن الكريم يقيم الأدلة الساطعة والحجج القاطعة والبراهين الشامخة على أن البعث لا بد من وقوعه .

﴿ **إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى** ﴾ .

وقد سبق أن أقام القرآن الكريم الأدلة قبل القضية ليبادرك بأنها قضية لا بد من وقوعها وكانت الأدلة تدور بين خلق الإنسان والنبات فى قوله تعالى ﴿ **ياأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث** ﴾ إلى آخر الآيات .

وهذا مشهد قرآنى كريم قامت فيه الأدلة قبل القضية والأدلة

هنا تتحدث عن الآيات الكونية والآفاق وعالم الفلك ثم تتحدث عن عالم النبات وما فيه من أسرار حارت فيها عقول المفكرين ووقفت واجمة حيالها عبقريات البارعين ولم يسعهم إلا أن يقولوا ﴿ **سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون** ﴾ .

وهذا المشهد الذى نسوقه هو صدر سورة « الرعد » قال تعالى :

﴿ **المر * تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون** ﴾ .

افتتح الله تبارك وتعالى هذه السورة الكريمة بأربعة حروف من حروف الهجاء ، كما افتتح كثيراً من السور الكريمة بهذه الحروف فقد تفتتح السورة بحرف واحد مثل « **ص** » ، « **ق** » ، « **ن** » وقد تفتتح بحرفين مثل « **طس** » وقد تفتتح بثلاثة أحرف مثل « **الم** » « **طسم** » وقد تفتتح بأربعة مثل « **المر** » وقد تفتتح بخمسة مثل « **كهيعص** » .

هذه حروف عربية نزل القرآن الكريم بها تعطينا إشارة إلى إعجازه وأنه كلام الله خالق القوى والقدر وأنتم أيها العرب أرباب الفصاحة والبلاغة فإن كنتم فى ريب من هذا الكتاب الكريم فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين .

فعجزوا ولم يستطيعوا ذلك ، كما أخبر القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ﴾ .

فثبت بهذا أن القرآن حق وأن الرسول المنزل عليه القرآن حق وأن القرآن صدق مطلق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وللعلماء فى تلك الحروف التى افتتح الله بها بعض السور نظرة عميقة ولمحة دقيقة قالوا إننا إذا جئنا بتلك الحروف وحذفنا المكرر منها أعطتنا بقية الحروف جملة تقول :

نص حكيم قاطع له سر .

وجزاهم الله خيراً فقد خدموا القرآن ابتغاء مرضاة الله وتناولوه بالبحث والتمحيص .

فالقرآن لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط بينهما ناظم .

﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا ﴾ .

ومن ثم فإنه تجدر الإشارة إلى أن هذه الحروف عندما تذكر فى أوائل السور يليها ذكر الكتاب الكريم أو ما يدل عليه .

اقرأ أول سورة البقرة .

﴿ الم ﴾ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ ثم اقرأ أول آل عمران : **﴿ الم ﴾ الله لا إله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق ﴾** .

وسورة الأعراف : ﴿ **المص * كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه** ﴾ إلى آخر السور وهذه السورة التى بين أيدينا .

﴿ **المر * تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق** ﴾ .

وإعجاز الله تعالى فى كلامه وفى آياته المتلوة كإعجازه فى آياته الكونية فالكون قرآن صامت والقرآن كون ناطق ومحمد ﷺ قرآن يمشى بين الناس .

فالقرآن الكريم معجزة الله الخالدة .

﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتونِ بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا** ﴾ .

كذلك فإن أعجاز الله فى خلقه واضح وضوح الشمس فى ضحاها جلى جلاء القمر إذا تلاها وضىء ضياء النهار إذا جلاها .

فمن جحد هذا الحق الصراح فإنه يخبط خبط عشواء فى ظلمة الليل إذا يغشاها .

فكما تحدى الله تعالى البشرية جمعاء أن يأتوا بسورة من مثل القرآن فعجزوا كذلك تحداهم فى آياته الكونية أن يخلقوا أضعف مخلوقاته وهى الذبابة قال سبحانه :

﴿ **ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولواجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً**

لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ .

والمطلوب هنا هو الذباب والطالب ما دون الله من الخلائق والمطلوب أقوى من الطالب حقاً ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز .

يامن يرى مد البعوض جناحه
فى ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى نياط عروقها فى نحرها
والمخ فى تلك العظام النحل
ويرى ويسمع ما يرى ما دونها
فى قاع بحر ذاخر متجندل

وهل كانت عصا موسى إلا عصا يهش بها على غنمه لكن القدرة العليا التى لا يدرك أحد مداها قد حولت هذه العصا إلى حية .

﴿ قال ألقها ياموسى فألقاها فإذا هى حية تسعى ﴾ وهل هذا الإنسان الذى حارت البرية فيه إلا مستخلص من عناصر الطين وهل الطين إلا تراب مختلط بالماء استلت منه تلك النطفة فالتراب أمر عادى والماء عادى فمن الذى جعل من هذا الطين إنساناً سوياً؟!

تباركت ربنا وتعاليت يا من قلت وقولك الحق **﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون﴾** .

قوله تعالى ﴿ والذى أنزل إليك من ربك الحق ﴾ أسلوب قصر يفيد أن ما أنزله الله على حبيبه هو الحق المطلق والصدق المطلق الذى كان وما زال وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير.



أدلة الإثبــات

أجمعت الأمة الإسلامية على أن البعث حق وأن منكره كافر ولقد تضافرت آيات الكتاب الكريم على إقامة الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على قضية البعث وأن البعث آت لا ريب فيه وقد كنا بصدد الأدلة القرآنية التى وردت فى سورة الرعد فبعد قوله تعالى ﴿ **والذى أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون** ﴾ أقام القرآن الكريم الدليل على قدرة الله وعظمته .

قال سبحانه ﴿ **الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون** ﴾ .

اعجب معى أيها العاقل كيف حكم الله تعالى على أكثر الناس بأنهم لا يؤمنون مع أن الذى أنزل إلى رسول الله ﷺ هو الحق فكيف يكون الحق واضحاً ومع ذلك تقف الأكثرية موقف الإنكار والجحود؟إن المنادى صائح وإن البرهان واضح وإن الحق لائح وإن الرائد ناصح ولكن أكثر الناس جبلوا على الإنكار إذ القلوب لا تؤمن إلا إذا كانت سليمة صحيحة مستقيمة مجردة من الهوى وهوى النفس

قد أعيى الطبيب المداوى وهكذا حال الأكثرية لا يؤمنون .. لا يعلمون .. لا يعقلون .. لا يشكرون : ﴿ **وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون** ﴾ .

وكيف لا يؤمنون والكون كله من عرشه إلى فرشه ومن سمائه إلى أرضه لو سألته وقلت له من خالقك لأجابك بلسان الحال والمقال : أنا مخلوق للواحد الديان ولقد قامت الأدلة الناطقة بذلك ﴿ **الله الذى رفع السموٰات بغير عمد ترونها** ﴾ .

وهل بعد الرؤية شئ ؟ .

فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير .

رفع السماوات والسماوات أشد خلقاً من بنى الإنسان والذى قدر على خلق الأعلى قادر بالأولى على خلق الأدنى .

﴿ **لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ ﴿ **أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها** ﴾ .

﴿ **أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج** ﴾ .

﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾ قال الإمام مالك رضى الله عنه فى هذا النص وأمثاله كلمات تكتب بماء الذهب فى صفحات النور .

قال رحمه الله تعالى : « الاستواء معلوم والكيف مجهول

والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ لأنه تعالى كان ولا مكان وهو على ما كان قبل خلق المكان علم ما كان وعلم ما يكون وعلم ما سيكون وعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون .

جل جلال الله استوى بغير كيفية ولا مشابهة للأغيار فلا العرش يحمله ولا الكرسى يسنده بل العرش وحملته والكرسى وعظمته الكل محمول بعظمة إرادته مقهور بجلال قدرته » .

ثم ينتقل النظم الكريم إلى آية أخرى من الآيات الكونية فيقول سبحانه :

﴿ وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ﴾ .

إن هذا الكون قام على ترتيب متقن وتنسيق بديع هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ، إنها دعوة إلى النظر فى عالم الفلك وهو عالم حارت فيه عقول المفكرين ووقفت واجمة حياله عبقريات البارعين .

وفى الحديث عنه مراتب لا تحصى ومراق لا تستقصى فماذا اكتشف العلم الحديث باجهزته المتطورة .

قالت الحقائق العلمية إن العلماء لم يكتشفوا من الفلك إلا جانباً يسيراً يقدر بمائة ألف مليون مجموعة شمسية كل مجموعة تحتوى على مائة ألف مليون شمس أقلها شمسنا تلك التى تغذى أرضنا بالحرارة والضياء والتى تعتبر أرضنا بالنسبة إليها عضواً فى الأسرة الشمسية فالشمس كالأم بالنسبة للأرض تغذيها دفئاً وتنيرها ضياءً وتعكس

أشعتها على قمرها الساطع فجل جناب الحق إذ يقول :

﴿ هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ .

وجل جناب الحق إذ يقول :

﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً ﴾ .

واستمع معى إلى هذه الآية الفذة الجليلة القدر العظيمة المعنى تحدثنا عن عالم الفلك فتقول :

﴿ سخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ .

إن فى لفظ التسخير ما يدل على منتهى التذليل والتطويع وكثيراً ما يكون ذلك فى المخلوقات التى تناهت فى العظم كالفلك والبحر .

وفى قوله تعالى **﴿ والنجوم مسخرات بأمره ﴾** إشارة عجيبة فإنها جملة إسمية مكونة من مبتدأ وخبر ، وأن مجيئها بهذه الصيغة لدليل على عظم عالم النجوم وما يحتويه من ثبات واستقرار فى النظام والإبداع .

فماذا يقول علماء الفلك فى هذه العوالم الضخمة ؟ ماذا يقولون فى هذا الوجود الذى نعيش فيه ؟ .

أى حكمة تنطق بها كلماته وأى حقيقة تشير إليها آياته إن كلمات الوجود وآياته إنما تؤكد الحقيقة الكبرى ولم يصل العلم بعد إلى معرفة عدد وحدات هذا الوجود بل كل ما وصل إليه العلماء هو التأكد بأنه مهما تقدمت العلوم ومهما استحدثت وسائل البحث وأجهزة الكشف فإن العلم لم يصل إلى ذلك على سبيل القطع فعدد النجوم والكواكب أمر يستحيل على العلماء أن يصلوا إلى حقيقته لأن ذلك فوق الإدراك ، وأكثر مما يتخيله العقل .

ففى كل مرة يصل العلم عن طريق أجهزة أكبر دقة وأشد حساسية وأبعد رصداً إلى عدد يفوق سابقه زيادة لم تكن متوقعة وما زال العلم يواصل أبحاثه فى استحداث وسائل جديدة للرصد .

ويحدثنا عن عدد النجوم حجة الفلك العالمى السير .. جيمس جينز فى كتابه « الكون الغامض » فيقول : ربما كان مجموع عدد النجوم التى فى الكون قريباً من مجموع عدد حبيبات الرمل التى تغطى شواطىء البحار فى العالم كله » .

ويقول كذلك فى كتابه « النجوم ومسالكها » يكاد يكون من المؤكد أن هناك أكثر من ٦٠ نجماً مقابل كل رجل وامرأة وطفل على وجه الأرض وقد يصل العدد إلى ضعف هذا بل ربما إلى ثلاثة أضعافه أو خمسة أمثاله .

ثم يضرب لذلك مثلاً فيقول : يجب أن نتصور مكتبة ضخمة تحتوى على الأقل نصف مليون كتاب من الحجم المتوسط فجميع حروف الطبع فى هذه الكتب عددها مساو تقريباً لعدد نجوم السماء وإذا كنا نطالع بسرعة صفحة فى الدقيقة مدة ثمانى ساعات فى كل يوم

فلا بد لنا من سبعمائة سنة لقراءة هذه المكتبة كذلك لو كنا نعد النجوم بسرعة ألف وخمسمائة نجم فى الدقيقة لاستغرقنا فى ذلك سبعمائة سنة أما الأرض التى نعيش عليها فهى أقل من نقطة على حرف فى مكتبتنا ذات النصف المليون مجلد .

فاللهم نسألك علما نافعاً وإيماناً صادقاً ويقيناً جازماً وشفاءً من كل داء ونجاة يوم الحشر وهداية يوم الضلالة إنك نعم المولى ونعم النصير .



آيات حق من الرحمن

قوله تعالى : ﴿ **وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون** ﴾ .

فى نور هذه الآية الكريمة نسوق آيات قد انتشرت فى الآفاق والأنفس تدل على عظمة الله تعالى وقدرته وأنه جل ذكره قادر مريد عالم سميع بصير حى لا يموت وقد كنا بصدد آيات من سورة الرعد وتحدثنا فى مقدمة السورة عن قوله تعالى :

﴿ **الله الذى رفع السموٰات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش ...** ﴾ وما فتىء الحديث عن قوله جل ذكره .

﴿ **وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى** ﴾

فهذا جانب من جوانب العظمة الكونية التى أبدعها الإله الحكيم إنه حديث عن الفلك جاء مصداقاً لما أثبته العلى العظيم فى قوله :

﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾

فماذا قالت الحقائق العلمية عن هذا الكون الرحيب الفسيح وهذا العالم المهيب الرهيب عالم الفلك .

قال السير جيمس جينز فى كتابه الكون الغامض « ربما كان مجموع عدد النجوم التى فى الكون تقريباً من مجموع عدد حبيبات الرمل التى تغطى شواطىء البحار فى العالم كله » .

ويقول كذلك فى كتابه : « النجوم ومسالكها » يكاد يكون من المؤكد أن هنـاك أكثر رمن ٦٠ نجماً مقابل كل رجل وامرأة وطفل على وجه الأرض وقد يصل العدد إلى ضعف هذا بل ربما إلى ثلاثة أضعافه أو خمسة أمثاله » .

ثم يضرب لذلك مثلاً فيقول :

يجب أن نتصور مكتبة ضخمة تحوى على الأقل نصف مليون كتاب من الحجم المتوسط فجميع حروف الطبع فى هذه الكتب عددها مساو تقريباً لعدد نجوم السماءوإذا كنا نطالع بسرعة صفحة فى الدقيقة مدة ثمانى ساعات فى كل يوم فلا بد لنا من سبعمائة سنة لقراءة هذه المكتبة كذلك لو كنا نعد النجوم بسرعة ألف وخمسمائة نجم فى الدقيقة لاستغرقنا فى ذلك سبعمائة سنة .

أما الأرض التى نعيش عليها فهى أقل من نقطة على حرف فى مكتبتنا ذات النصف مليون مجلد أو على الأصح يجب أن نشبهها بهباءة من التراب بين صفحتين فى أى كتاب من هذه الكتب فى هذه المكتبة .

فإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للنجوم وهى شموس تبلغ درجة حرارتها عشرات الملايين من الدرجات التى يقيسها الإنسان بأجهزته فكيف يكون الحال بالنسبة لعدد الكواكب إذا ما عرفنا أن شمسنا هى واحدة من هذه النجوم ، وأرضنا أحد الكواكب التى تكون المجموعة الشمسية ؟ فإذا كان كل نجم ليس له سوى تسعة كواكب كما للشمس فقط .

فيا ترى كم يكون عدد الكواكب ؟ كم يكون عدد الكواكب والنجوم ؟ .

إن دراسة إشعاعات النجوم قد ألقت بعض الضوء على بعض وحدات هذا الكون ومركزها فى الوجود فقد توصل العلم إلى معرفة أن الضوء يسير بسرعة ١٨٦ ألف ميل فى الثانية .

وقد اختار الفلكيون السنة الضوئية ــ التى تتكون من ٣٦٥ يوماً ، فى كل يوم ٢٤ ساعة ، وفى كل ساعة ٦٠ دقيقة وفى الدقيقة ٦٠ ثانية ــ لقياس أبعاد النجوم فإذا وصل إلينا ضوء نجم بعد ثانية واحدة كان بعده عنا ٢١٨٦ ألف ميل وقد وجد أن السدم التى ترصد أضواؤها على الأرض تنطوى معها حقيقة : هى أنها تبتعد عن الأرض بسرعات تتناسب مع أبعاد المسافات التى بينها وبين الأرض وأن آخر ما رصد من السدم وجد أنه يبتعد على الأرض بسرعة هائلة تبلغ ١٥ ألف ميل فى الثانية فمتى بدأ فى حركته ؟ومتى يقف وإلى أين ينتهى ؟ .

وإن أقرب سديم إلى الأرض يصل إلينا ضوؤه بعد ٨٥ ألف

سنة ضوئية ؛ فعلى أى بعد يقع ؟ وأين أصبح الآن ؟

وتعتبر هذه الأرقام : الوحدات فى بداية الكون فقد أظهرت بحوث العلماء أن هناك من السدم ما لم تستطع المجاهر القوية أن تتبين إشعاعها .

وأمر هذا الوجود ليس غريباً فى عدد النجوم والكواكب والمسافات التى تفصل بينها فقط وإنما العجب والحيرة الذى ظل العلماء فى عجب وحيرة منه هو أمر إشراق النجوم . إذ كيف يمكن أن تظل هذه النجوم ملايين السنين مشرقة ولا ينتهى إشراقها ؟

هل يرجع ذلك إلى الحرارة الشديدة الموجودة داخل النجوم ، والتى يرجح العلماء أنها تصل إلى عشرات الملايين من الدرجات الحرارية التى نعرفها ؟ .

وكيف لا تخمد . حتى لو فرضنا أنها تفقد من حرارتها كل يوم درجة واحدة بل كل شهر حتى لو فقدت كل سنة كاملة درجة واحدة لكان يكفى ملايين السنين التى مرت منذ القدم أن تصبح النجوم باردة ولكن ظلت حرارتها كما كانت ملايين الدرجات الأمر الذى بسببه حاول العلماء وضع نظريات تفسر ذلك فقيل إن السبب هو وجود عناصر مشعة فى النجوم ولكن لم يدرك هذا الرأى كثير ثم استدلت هذه النظرية بالانفجار الذرى ثم الانفجار الأيدروجينى فى تبرير حرارة الشمس وعدم تغيرها وما زال العلماء فى أبحاثهم بسبيل إيجاد سبب أو آخر لإشراق النجوم ثم إننا نوجه هذا السؤال إلى علماء الطبيعة كيف لا تفنى كتلة النجم ؟ إذ المعروف أن كل مادة ملتهبة

تفقد من كتلتها بسبب الحرارة .

سبحانك ربى يا من قلت .

﴿ وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾ .

يا من يحار الفهم فى قدرتك	وتطلب النفس حمى طاعتك
تخفى عن الناس سنا طلعتك	وكل من فى الكون من صنعتك

* * *

يا مبدع الكائنات !

يا من كل فعلك حكمة بالغة ! يا من قلت وقولك الحق .

﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ﴾ .

ويا من قلت :

﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ .

تباركت ربنا وتعاليت لقد وعدتنا فصدقت وقلت سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم وقد أريتنا وتبين الحق لنا فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها لقد جعلت الكون صفحة

بديعة ناطقة بألوان الجمال والكمال والجلال الكل يشهد بجلالك ويقر بكمالك ويعلن بذكرك ولا يغفل عن شكرك .

السماء وارتفاعها والأرض واتساعها والشمس وشعاعها والأفلاك ومدارها والبحار وأمواجها : سبحك الطير فى وكره ومجدك الوحش فى قفره والأرض جميعاً قبضتك والسماء وما فيها من عظمة وجلال مطويات بيمينك .

فتباركت وتعاليت ولك الجمال والكمال والجلال .

عبد الحميد كشك



فهرس الكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٢٦٥ / ٨٨

الترقيم الدولى ٣-١٩١- ١٤٢ - ٩٧٧

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ ـ شارع نشاطى شبرا القاهرة
ت: ٧٧٣٢٢١